الدّال والمدلول (اللفظ والمعنى)

إنّ اللّغة ذات الأصالة العريقة والبيان الرّائع تؤدّي دورها الرّائد في تلبية احتياجات العرب والخاصّة منهم بألفاظها الدالّة على المعاني المتنوعة تنوّع خُصوبة هذه اللغة. لذلك نجد أن هذه الثّنائية الخطيرة (الدال/المدلول) أو (اللفظ/المعنى) قد شغلت باعًا واسعًا في الدّراسات اللغوية على اختلافها من لغويين، وبلاغيين، ونقّاد،

من خلال "العودة إلى مؤلّفات القدامى، ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدّقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة ولمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامّة، بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة التي أتوا بها والتي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية"

المعنى هو المقصود واللفظ وسيلته، ولما كان المعنى هو الغاية والمرام، واللفظ لا يعدوا أن يكون خادمًا له، كانت العناية به أعظم وقدرة عندهم أفخم، لأن المخدوم – بلا شك – أشرف من الخادم" فاللفظ خادم المعنى الذي يؤدّي إلى قصد القاصد، لذلك عدّت المَزِية للفظ، لأن المَخدوم أعلى مَرتبة من الخادِم.

إن الحديث عن اللفظ والمعنى – بعدِّها المحور الأساسي الذي دارت حوله الدراسات – يتطلّب مِنّا بَداهةً العودة إلى الإرهاصات الأولى لظهور هذه القضية، حتى وإن لم تذكر في الأبحاث بشكل جلي وإذا كان الأمر كذلك " فإن لتأثير البيئة العقائدية والفكرية أثرها في تكوين الفكر العربي القديم – خصوصا حول هذه القضية – وهذا ما يجعلنا نُحيل على مرجعية أخرى، هي المرجعية البيئية التي خلقت صراعا كبيرا بين فئات عديدة، فتحول الصراع إلى القرطاس والقلم.

المتأمل في التّراث العربي إلى نهاية القرن السابع الهجري (7هـ)، يجد أنّ فكرة اللفظ والمعنى قد تمثّلت أساسا في أبحاث النحاة والبلاغين والنّقاد أحسن تمثيل، دون أن ننسى

المفسرين الذين إضافة ومساهمة في هذا المبحث. فالمتأمّل في: "التّراث البلاغي والنقدي يلحظ أن هذه الثنائية – ثنائية اللفظ والمعنى – قد شغلت حيّزا كبيرا داخل هذا التراث"

العلاقة الدّلالية تنطلق من ثنائية اللفظ والمعنى تأسِيسًا لظواهر دلالية بكل حيثياتها، هذا بحكم أن البحث الدلالي "يتقصى العلاقات الدلالية بين الرموز اللغوية ومدلولاتها، وما يترتب عليها من نتائج في سلامة الأداء للغرض المقصود" الدّراسة الدّلالية تحاول الإحاطة بالعلامات اللغوية وغير اللغوية ولا تستثني أيًّا منهما، لأنهما تتوخيَان الأداء السليم تحقيقًا للمعنى المقصود من الحدث الكلامي. لقضية الإعجاز القرآني وارتباط الفكر والبلاغي النقدي بما احتواه فكان النزاع محتدما في أي منهما يكمن الإعجاز، في اللفظ وتأليفه، أو في المعنى ودلالته، أو بهما معا، أم بالعلاقة المتولدة بينهما؟